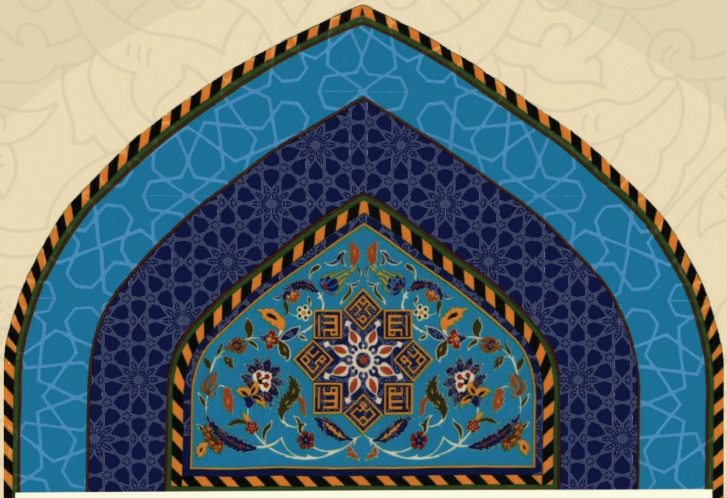

بلاغة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
ـ تسامي القِيَم ورُقيّ الأدب ـ

Imam Al-Hasan Al-Askari's (PBUH) Eloquence (Supremacy of Values and Good Manners)

أ.م.د. عباس إسماعيل الغراوي

جامعة واسط

كلية الآداب

Asst. prof .Dr. Abbas Ismael Al-Gharawi

Wasit University

college of Arts

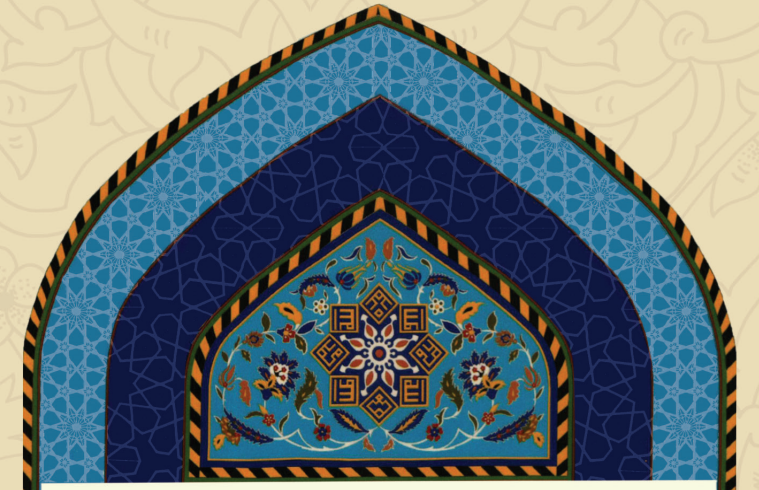

بلاغة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
ـ تسامي القِيَم ورُقيّ الأدب ـ

الملخص:

كل ما في هذا الكون يجدر أنْ يسير بالوُجهة السّليمة، وفيما عدا ذلك تكون المشكلات والعواقب الوخيمة، والقارئ في الخطابات الأدبية يجد أن منها ما يرتفع في القيمة البلاغية ويوظف أساليبها ومساراتها لأجل سلامة الفكر وتسامي النهج، ومنها ما ينسجم مع الهوى والميول الذاتية لا بما لا يستقيم مع الحقيقة، ومن هنا وجدنا في الموروث البلاغي المبالغة، والغلو، والمضامين المناهضة للواقع السليم والعقل النير، وهذا الأمر دفع الباحث ليركز الضوء على المنحى الأول وهو أن تكون البلاغة من الادب الملتزم والخلق السامي، ولأن الخطابات الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام تتسم بهذا النهج المضيء من جهة، ولأنها لم تدرس من جهة أخرى، دفع هذا الأمر للدراسة (بلاغة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ تسامي القيم ورقي الأدب ـ) .

الكلمات المفتاحية:

الإمام العسكريّ عليه السلام، البلاغة، القيم، الكلام.

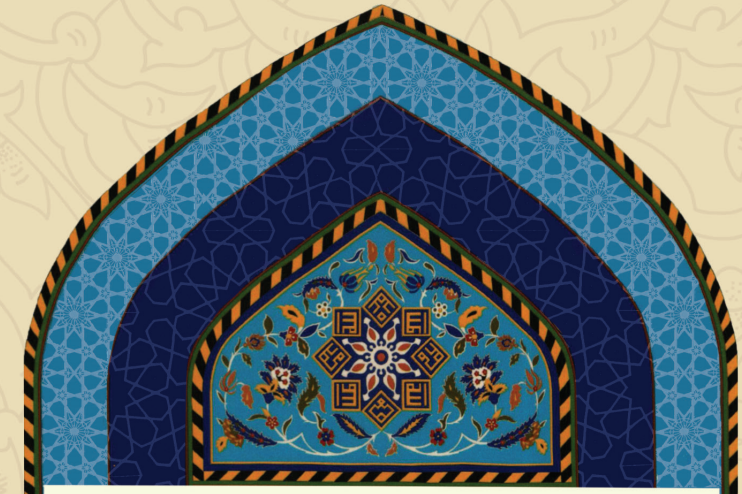

Imam Al-Hasan Al-Askari's (pbuh) Eloquence (Supremacy of Values and Good Manners)

Abstract:

Everything existed in this universe should run in the right course or the results and consequences are catastrophic. The reader of literary speeches finds that some speeches have high rhetoric significance, which can be used to employ their styles and courses to introduce sound thought and approach supremacy. Some of these speeches coincide with prejudice and self-tendencies rather than truth. Based on this idea, we have found in the rhetorical heritage exaggeration, extremism, and counter concepts of sound and brilliant mind. Since imam Al-Askari's speeches are, on one side, characterized by such brilliant approach, and on the other side, they never been studied, it motivated the researcher to study (Imam Al-Hasan Al-Askari's (pbuh) Eloquence (Supremacy of Values and Good Manners).

key words:

imam Al-Askari (pbuh), rhetoric, values, speech.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أفضل ما حمدَ حامد إلى أبد الآبدين والصلاة والسلام على خير الأنام وعترته خير الكرام.

إنّ الناظر في تراث أهل البيت عليهم السلام يلمح فيه ما يمكنه أنْ يكون منطلقاً إلى رسم تلك الخريطة التي يمكنها تحديد مسارات الدّراسة البلاغيّة وتوجهاتها؛ لأنّها توظف البلاغة لخدمة الجانب الرّوحي الذي يتجلّى بالتّمسّك بالقيم السّماويّة مع عدم الرُّكون للقضايا الدنيويّة، وهذا يُولِّد أدباً أصيلاً خالياً من التكسب والتنابز والتفاخر أو نحو ذلك من القضايا التي حرفت الأدب وجعلته يضفي على القضايا ما ليس فيها، فتجد الشّاعر يلبس الخليفة ثوبا ليس له، فلأجل ذلك يغيِّر كثيراً من الحقائق، وقد يغمض بكلامه ويعقد لأجل كسب ود المتلقي من دون أنْ يكونَ سببٌ يدعوه إلى ذلك، وهذا خلاف ما يرتضيه الذوق السّليم، ومن هنا تكون الحاجة ماسة للافادة من أمراء الكلام، فكان هذا البحث (بلاغة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ تسامي القيم ورقي الادب ـ).

وقد قسّم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، أما التمهيد فأوضح علاقة تراث أهل البيت عليهم السلام بسمو القيم، ثم انتقل إلى المباحث التي ضمت: المستوى الايقاعي والمستوى البياني (الصوريّ)، والمستوى الدلاليّ، والاقتصار على هذه المستويات بسبب كونها الأهم ولضيق المقام، وركز البحث في الكشف عن أثر البلاغة العسكرية في بيان المقاصد الروحية التي يسعى الإمام لإيصالها إلى الناس.

وصولاً إلى الخاتمة والتي تتضمن نتائج البحث.

التّمهيد: تراث أهل البيت وسمو القيم البلاغية

عانى آلُ الرسول عليهم السلام كثيراً من ويلات الطّغاة، وبدأ هذا الأمر يتزايد مع مرور الزّمن لأجل استئصال ذلك النّور المحمديّ، وكانت حقبة الإمام العسكريّ عليه السلام من أصعب الحقب؛ إذ شهدت مضايقات وتربصات، ومحاولات متكررة لقطع حبل الدين، ومن جهة أخرى شهدت حقبته تخاذلاً من الأصحاب حتى قال في بعض أقواله عليه السلام: **«ما مُنِيَ أحدٌ من آبائي بمثلِ ما مُنيتُ به مِنْ شكِّ هذه العصابةِ فيَّ، فإنْ كانَ هذا الأمرُ أمراً اعتقدتموهُ ودِنْتُمْ بهِ إلى وقْتٍ ثُمَّ ينقطعُ فللشكِّ موضعٌ. وإنْ كانَ متصلاً ما**

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

اتَّصلتْ أمورُ اللهِ فما معنى هذا الشَّكِّ؟»[١]، وما كان على الإمام العسكري عليه السلام المولود في (٢٣١ هـ)[٢] إلّا أنْ يكافح ويُغامر بحياتهِ لأجل رفع علم الدين مرفرفاً، ولم يهتمّ لسجن أو ظلم أو مضايقة ما دام أمر الله كان هو الهدف، والصّلة بالله إذا قويت ضعُف ما دونها من الصعوبات والعَقَبات، ومن هنا وجدناه عليه السلام يتكلم بالرغم من أنّهم أرادوه أنْ يسكتَ، يُخاطب ويُعلِّم ويوضح ويُفسِّر ويساند ويساعد ويكرم وينصر، كلّ هذا بأسلوب موجز وطرح لطيف وعمل متقن التّدبير يحوطه الحذر وترافقه السرِّيّة، وتشيع فيه العلاقة العظيمة بالمعبود، فكان منهاج إقامة الدين يتسيد الأمل بتشييد الحق لغد منشود بأسلوب بليغ، من أحد امراء البلاغة، يقول أمير البلاغة أمير المؤمنين عليه السلام: «وَإِنَّا لأمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ»[٣].

فالجمال الخطابي لا يكمن فقط في تزويق شكله أو تنميق طرحه ومحاولة تعذيب تذوقه بما لا يستساغ، لكن كيف يكون الامر اذا اجتمع جمال النص بجمال الروح؟

إذا كان من البدهيّ أنّ القويّ يكونُ مدعاة لأنْ يكون محلَّ دراسة، فبلاغة الإمام العسكريّ عليه السلام تأتي في الصّدارة، فكم هو جميل أن نستمع إلى مقدمة كتاب الإمام العسكريّ عليه السلام إلى اسحاق بن اسماعيل النيسابوري الذي جاء في مقدمته: «**فهمتُ كتابَكَ يرحمك الله ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرقّ على أوليائنا ونسرُّ بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتدُّ بكلِّ نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم**»[٤].

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٣٦٠ـ ٣٦١.

(٢) جاء في كتاب وفيات الاعيان بعد الحديث عن نسب الإمام العسكري « وكانت ولادة الإمام الحسن المذكور يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل سادس شهر ربيع الأول، وقيل الآخر، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. وتوفي يوم الجمعة، وقيل يوم الأربعاء لثماني ليال خلون من شهر ربيع الأول، وقيل جمادى الأولى سنة ستين ومائتين بسر من رأى، ودفن بجنب قبر أبيه»، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٩٤.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٥٤، وتنشّبَت العروق: عَلِقت وثبتت، والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية، وتهدّلت: أي تدلت علينا فأظلتنا.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٣٥٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

فهذا الخطاب ظاهره أنّه خال من المزوّقات البلاغيّة، ولكن بالتّأمل والتّمعّن نجده يحقّق معنى البلاغة بحقيقته، وهو البُلوغ إلى القلب لما فيه من ارتباط روحي يتجلى بالآتي:

١ـ أنّ سمة الاتصال بالله التي عليها مدارُ هذه الخليقة مُنسابة في هذا النص المبارك، فتجد الجمل الاعتراضيّة التي تترجم الصّلة الوثيقة بالله تعالى: (... يرحمك الله... بحمد الله ونعمته... تبارك وتعالى...)، وهذه الجمل الاعتراضية ربّما يقال: إنّها يمكن أنْ تسقط من الكلام كونها تشكل جزءاً يمكن الاستغناء عنه، ومن هنا قيل باعتراضيّتها على أنّها أعطت النص سمة مهمة لا يمكن الاستغناء عنه؛ إذ مزجته بالتعلق بالله تعالى وجعلته أمام كلِّ شيء، فهو الّذي يَرحم، وهو وحده الّذي يستحقّ أنْ يُحمَدَ، وهو الذي يُنزّه ويُمجَّد.

٢ ــ أنّ سمة الشفقة بعباد الله سمة غالبة، فالإمام يتفهّم كتاب المخاطب، ويرجع يرد عليه بأسلوبه اللطيف: «**نرقّ على أوليائنا ونسرُّ بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم. ونعتدُّ بكلِّ نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم**»[١]، وهل بعد هذا من شفقة تذكر، إن الخطاب اذا كان غنيا بالحبّ كان سبباً لأنْ يصبح مقبولاً مؤنساً مستعذباً.

يمكن القول: إنّ بلاغة هذا النّصّ بوضوحها وسمو مقاصدها تنساب مع قول امير المؤمنين: «**عليّ بن أبي طالب** عليه السلام: **البلاغةُ إيضاحُ المُلتبَساتِ، وكَشْفُ عَوذارِ الجَهالاتِ، بأسْهلِ ما يكونُ منَ العِباراتِ**»[٢].

ومثالٌ آخر من سمو البلاغة العسكريّة قوله عليه السلام: «**ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلّا ذلَّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلّا عزَّ**»[٣]، وهنا نجد أنّ هذا الحديث واضح مفهوم، يُبيِّن قضايا قد تغيب على السّامع دون غموض أو تعقيد، فعزّة الإنسان تكون بتمسّكه بالحقّ، وفيما عدا ذلك تكون الذلّة، وهذا المضمون مهمّ لإيجاد مجتمع ناضج ناجح، مجتمع يُشخِّص الصّواب من الخطأ، مجتمع لا يرضى بفساد أو بأمر محرّم لا يرضى بأخلاق ذميمة تعمل على نهش المجتمع

---

(١) الحراني، المصدر السابق، ص٣٥٨.

(٢) العَسْكريّ، أبوهلال، كتاب الصِّناعتين (الكتابة والشعر)، ص٦٣.

(٣) الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٢.

مجلة تراث السامرائي
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

وإبادة قواه، مجتمع يعمل على تعزيز التآلف وحسن التّعايش وتحقيق كلّ ما هو مفيد، الحقيقة أنّ الفوائد التي تتولّد بسبب تطبيق ذلك الحديث لا تقف عند حدّ، ولو طُبِّقَ بتمامه لكان مجتمعنا مجتمعاً مثاليّاً ناجحاً قادراً على إيجاد السّعادة لأفراده، إنّ كلّ الّذي نلقاه اليوم من تخلف إنّما يعود إلى الفهم الخاطئ لمفهوم العزة؛ إذ بات كثيرٌ من النّاس يراها كامنة في المناصب وكسب الأموال والاستحواذ على الخيرات الدنيويّة، وهذا بعيد كلّ البعد من العزّة، إذ ربّما تلقاه مُحترماً ما دام موجوداً في ذلك المنصب فإذا نزل منه ألفيته ليس هو ذلك الذي كان بالأمس، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك والاذاعة وطلب الرئاسة، فإنهما يدعوان إلى الهلكة**»(١).

إنّ التفكير في بناء الإنسان مبدأ أساس في كلامهم عليهم السلام، ومن هنا فالبلاغة كانت عندهم بأنْ تجمع بين الجمالية والإصلاحية، وإذا عدنا إلى النّصّ السّابق نجد البلاغيّات واضحة «**ما ترك الحقَّ عزيز إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز**» وسنجد أكثر من فن من مثل: التّوازي، والتّقديم والتّأخير، والمقابلة بين ثلاثة لثلاثة والإيجاز... مثلما سيبان في القادم... لكنّها هنا لم تأتِ تكلفاً أو تقصداً على حساب المعنى، بل كانت سبباً في أداء المعنى.

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٠.

المبحث الأول

المُستوى الإيقاعيُّ

يعرف الإيْقَاع بـأنّه «**تَرَدُّد ارتِسامات سمعِيَّةٍ مُتجانسَةٍ بعدَ فَتَرَاتٍ ذَاتِ مدًى مُتشَابِهٍ، فيُمكِنُ التَّحْصِيلُ على الإيْقَاعِ بِوَساطةِ وسائِلَ جِدُّ مُختلِفةٍ**»(٢)، وهذا التنظيم في الخطاب يشي بالمتعة عند السّامع، ويجعله يستأنس إلى هذه النّمطيّة التي جعلته يرى الرّصف في الكلمات لتخرج له بنصّ منسبك، وهناك أكثر من وسيلة يتحقّق بها هذا المستوى، وعلى النّحو الآتي:

١ـ السّجْع: وهو توافق الفاصلتين من النّثر على حرف واحد في الآخر(٣). ويشترط ألّا يكون تكلفاً وألّا يكونَ على حسابِ المعنى؛ لأنّه «**إذا سلِمَ من التّكلّف وبرئ من التعسّفِ لم يكن في**

(٢) كانتنو، جان، دروس في عِلْم أصوات العَرَبِيَّة، ص١٩٧.

(٣) ينظر: العلويّ، يحيى بن حمزة، الطِّراز المُتضمِّن لأسرار البَلاغة وعُلُوم حقائقِ الإعْجاز، ص٥٦٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

جميع صنوفِ الكلام أحسن منه»[١] على النّحو من القول المبارك عليه السلام: «**من كان الورع سجيّته والإفضال حليته، انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه، وتحصّن بالذكر الجميل من وصول نقص إليه**»[٢]، وهنا السجع بين (سجيته) و(حليته)، وبين (عليه) و(إليه)...، وقد أنتج هذا السّجع تجاذباً بين أطراف النّصّ وتماسكاً متسقاً يشي بالجمال النّغميّ، فمثلما يكون للقلب حظٌّ من المعنى يكون للأذن حظّ من اللفظ على أنّ هذا لا يكون على حساب المعنى أو على حدّ التّفريط به وجعله غاية لا وسيلة، ومن هنا نجد قلة السّجع في الكلام العسكريّ على العكس مما شاع في المجتمع في ذلك الوقت (العصر العباسيّ)[٣] على أنّنا بتأمل يسير في القرآن الكريم من سورة القيامة: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٤)**﴾، فهنا نجد هذه الآيات سُبقت ولُحقت بآيات نهايتها الميم ملحوقة بالهاء. وكان بالإمكان الاتيان بدلاً من (بنانه) بـ(إبهامه)؛ ليستقيم النّسَق الصّوتيّ ولكن المعنى فرض استعمال (بنانه) التي تعني (أطراف الأصابع) كونها ترجمة لما جاء في العلم الحديث من تباين الخلائق فيما بينهم بالبصمات، وهذا لا يتأتّى من استعمال (ابهامه)، ومن هنا نجد أنّ النّسق الصّوتيّ لا يكون على حساب المعنى، وهذا مثله مثل القول في خطاب الإمام العسكريّ بوصيته لإسحاق بن اسماعيل النّيسابوريّ: «**سترنا الله وإيّاكَ**

---

(١) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص٢٨٦.

(٢) المجلسيّ، الشّيخ مُحَمَّد باقر، بحار الأنوار، ج٦٦، ص٤٠٧.

(٣) فهذا الاديب العباسيّ الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) ـ على سبيل المثال ـ مع ما له من فضل، توغّل في السجع، وصار لديه غاية لا وسيلة، ولم يصل إلى هذه الحالة لولا شيوع السجع في وقته وتفشيه في خطاباتهم لكنه زاد عليهم وبالغ به، يقول بعضهم عنه: « وكان كلفه بالسجع في الكلام والقلم عند الجد والهزل، يزيد على كلف كلّ من رأيناه في هذه البلاد، قلت لابن المسيبي : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع؟ قال: يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجعة تنحلّ بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة ويحتاج من [أجلها] إلى غرم ثقيل وكلفة صعبة وتجشّم أمور وركوب أهوال لما كان يخفّ عليه أن يفرج عنها ويخلّيها بل يأتي بها ويستعملها ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها» الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٧٨.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

بستره وتولّاك في جميع أمورك بصنعه»[١]؛ إذ كان بالإمكان ان يقول: (بأمره) ليستقيم سجعيّاً مع (بستره) سوى أنّ الذي جاء هنا بـ(بصنعه) هو نفسه الذي جاء بـ(بنانه)، وهو ان المعنى لا يكون تبعاً للفظ في جميع الاحوال، نعم يتعاونان فيما بينهما على اداء المقصد لا ان يتحكم احدهما بالآخر.

إنّ لفظة (صنعه) تذكرنا بما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ (طه: ٣٩)، ونجد هنا «**استعارة تمثيلية للحفظ والصون... قال النحاس: يقال صنعت الفرس إذا أحسنت إليه. والمعنى وليفعل بك الصنيعة والإحسان وتربى بالحنو والشفقة وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به**»[٢].

فهنا (الصنع) مع أنّه ينطوي تحت أمر الله إلا أنّه أخصّ منه وينسجم أكثر مع ما جاء إليه وهو الاكتناف والعناية والمعونة والمدّ بالطّاقة والحياة، وكلّ ما منه تهيئة المستلزمات اللازمة للإنسان، وها هو العلم كل يوم يكتشف مزيداً من العجائب، فكأنّ ذلك الشّخص صار تحت مصنعه تعالى، وقد بات أنّ الصانع يعمد إلى الإجادة فيما يصنع جهد إمكانه، فكيف إذا كان ذلك الصانع هو الله تعالى ؟!

اما لفظ (الامر) الذي كان يمكن أن يأتي ليحقق التوافق في السجعة، فهذا اللفظ يأتي في سياقات الرهبة: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(٦)**﴾ من سورة العاديات، وقوله: ﴿**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ**﴾ (الانفطار: ١٩)، ﴿**أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً**﴾ (النساء: ٤٧).

أي ان تغليب (بصنعه) جاء لغاية لا يمكن أنْ يعوضها القول (بأمره)، وهذا يعني أنّنا بحاجة إلى أنْ ندرس مخالفة الفاصلة القرآنية في القرآن الكريم مثلما درسنا وجود الفاصلة فيه.

جاء في مسند أحمد عن بعض زوجات النبي: «**قالت اجتنب السجع من الدعاء فإن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك**»[٣]، على ان ما جاء في كلام الامام

---

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٣٥٨.

(٢) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٥٠٣.

(٣) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص٢١٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

ملائم تمام الانسجام مثلما رأينا فيما سبق أو يمكن أن نراه في قوله عليه السلام: «**جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره**»[١] بين (كبره) و(صغره) أو في قوله عليه السلام: «**من وعظ أخاه سرا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه**»[٢] بين (زانه) و(شانه)، كونه جاء هنا مناسباً لمقصد الكلام دون تكلف أو مبالغة.

٢ ـ التّوازي: «**وهو أنْ يتوازن المصراعان أو الجزآن، وتتعادل أقسامهما مع قيام كلِّ واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه**»[٣]. ويعمل على توليد نصٍّ متّسق؛ إذ يبحث «**في كيفيّةِ وُجودِ روابطَ من نـوعٍ خاصّ بينَ الجُملِ، تتمثّلُ في التّشابهِ التّركيبيّ المُدْعَم بالتّماثلِ الصّوتيّ لنهايتِها، وهذا التّشابهُ بينَ مجموعةٍ من التّراكيبِ المُتوازيةِ يَخلقُ نَوْعاً منَ التّوحّدِ يَشي بترابطِ النّصّ**»[٤] ترابطاً هندسيًّا يوحي بالجمال وروعة الأداء.

والتّوازي على رأي ياكوبسن «**يحْتلُّ المنزلةَ الأُولى بالنّسبةِ للفَنِّ الأدبيّ**»[٥]، و«**إذا قامتِ الأنساقُ النّحويّةُ على التّوازي النَّحْويّ... هيّأ هذا التّوازي إلى تماثُلِ صوتيٍّ بالتّتاليات**»[٦]، وقد يُظَنُّ أنّ في ذا تحْجيماً لحُرّيّةِ المتكلم، وهذا إنْ صَدَقَ فلا يَصْدُقُ معَ مَن تَمَكَّنَ مِنَ اللُّغَةِ وعَرَكها على أنَ مُراعاةَ اللَّفْظِ معَ الحفاظِ على المعنى أمرٌ يَزيدُ المَعنى عُذُوبةً[٧].

ومن أمثلة التوازي قوله عليه السلام السالف الذكر: «**ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلّا ذُلَّ، ولا أخَذَ به ذليلٌ إلّا عَزَّ**»[٨]، فهنا تفنُّن في استعمال الكلمات بشكل هندسي، يتجلى بالجدول:

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣، وسيأتي هذا الحديث في موضوع الطباق.

(٢) الحراني، المصدر نفسه، ص٣٦٣، وسيأتي هذا الحديث في موضوع المقابلة.

(٣) العسكريّ، أبوهلال، كتاب الصناعتين، ص٤٦٣.

(٤) الفرج، حسام أحمد، نظريّة علم النَّصّ، ص١٠١.

(٥) ياكوبسن، قضايا الشعريّة، ص١٠٣.

(٦) عنّوز، صباح عبّاس جودي، أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانيّة، ص١٣٦.

(٧) ينظر: ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، ص٥٠.

(٨) الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٢.

الجزء النصي	النسق الايقاعي
«ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلّا ذُلَّ»	أداة نفي + فعل ماض + مفعول به + فاعل + اداة استثناء ملغاة + فعل ماض
«ولا أخَذَ به ذليلٌ إلّا عَزَّ»	أداة نفي + فعل ماض + شبه جملة(جار ومجرور) + فاعل + اداة استثناء ملغاة + فعل ماض

ونلحظ هنا تقاربا شديدا في بناء الشطرين (الجزئين) مع تقابل بين المفعول به في الشطر الأول و(شبه الجملة) في الشطر الثاني، ومن اللطيف ان الفعلين اللذين جاءا في تقفية الكلام (ذلّ، عزّ) قد جاءا على نمط الفعل الثلاثي المضعف، ثم انّ هذا التّوازي رافقه تقابل بين المتضادّات لبيان الفرق بين الفعلين المتخالفين من جهة التّمسك بالحقّ.

ترك ⟵ أخذ

عزيز ⟵ ذليل

ذلّ ⟵ عزّ

ومن هذا الباب قول الإمام الحسن العسكريعليه السلام: «**حُبُّ الأبرارِ للأبرار ثواب للأبرار. وحبُّ الفُجَّار للأبرارِ فضيلةٌ للأبرارِ، وبُغْضُ الفُجَّارِ للأبرارِ زينٌ للأبْرارِ. وبُغضُ الأبرارِ للفُجَّار خزيٌ على الفُجَّار**»[1].

فهذا التقسيم الهندسيّ المُبيِّن لقواعد تنمويّة، يكشف حقائق مهمّة عن معطيات الحُبِّ والبغض بين الأبرار أنفسهم وبينهم وبين الفُجَّار، يمكن تبيينه بالمخطط:

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

الجزء النصي	النسق الايقاعي
حب الابرار للأبرار ثواب للأبرار	مبتدأ + مضاف اليه + جار ومجرور + خبر + جار ومجرور
حب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار	
بغض الفجار للأبرار زين للأبرار	
بغض الابرار للفجار خزي على الفجار	

فهنا جاء التّكرار بهذه الأنماط أربع مرّات، وقد منحت هذه النّمطيّة المُتكررة إيقاعيّة للنّصّ. يستشعر القارئ به تكراراً جميلاً ونغماً قويّاً بسبب كثرة استعمال اصوات قوية (الباء، الراء، الجيم، الضاد..) ولا سيّما الراء ـ التي هي صوت للتّكرير ـ في عشرين موضعاً.

ومع أنّ هذا النّص مع كلّ ما فيه من اتقان هندسي إلا أنّه لم يكن متكلفاً، يكفي أنّه لو كان متعمداً فيه التكلف لجاء بستة أشطر، ولكنه جاء بستة مع اهمال حب الفجار للفجار أو بغض الفجار للفجار، ولعل السبب هو كونهم لم يكونوا بؤرة الحديث كما كان الأبرار، ومن هنا أعرض عنهم وكأنّ الأمر بينهم مسكوتٌ عنه.

الطباق والمقابلة

الطباق: هو «**الكلمةُ المُقابلةُ، أي كلمةٌ تُعبِّرُ عن العَكْسِ مِنْ كلمَةٍ أُخْرى، وتُوْجَدُ بوَجْهٍ خاصٍّ صِفاتٌ مُتَضادّةٌ وأفْعالٌ مُتضادّةٌ (حسن ـ سيّئ، يَتكلَّم ـ يَصْمُت)**»[1]، ومنَ المَألوفِ أنّ الضِّدَّ يُذَكِّرُ بضِدِّهِ؛ لذا كانَ جِهَةً جامِعَةً تَضُمُّ أجْزاءَ النَّصِّ، فمِنْ تَحْليلاتِ التّفتازانيّ (ت ٧٩٢ هـ) أن يكونَ «**بين الجملةِ الأوْلى والثّانيةِ جِهةٌ جامِعةٌ، نحو (زيد... يُعْطي ويَمْنَعُ) لِمَا بينَ الإعْطاءِ والمَنْعِ مِنَ التَّضادِّ بخِلافِ: زيدٌ يَكتبُ ويَمْنعُ، أو: يَشْعَرُ ويُعْطي**»[2]. ومن أمثلة الطباق قوله عليه السلام:

(١) زتسيسلاف، مدخل إلى علم النَّصّ، ص١٣٣.

(٢) التفتازاني، المُطوَّل، ص٤٣٤.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

«**جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره**»[١]، وهنا نجد الطباق بين الولد والوالد، مثلما نجد هناك طباقاً آخر في (صغره) و(كبره) ومع أنّ الطباق الاخير من السجع، بل انّ النّصّ كله فيه فنّ التّوازي، عاضد هذا الجمال الايقاعي جمال آخر بالطباق، فكون الشيء يذكر بضده يعطي هذا نغماً إيقاعيّاً بسبب هذا التّضادّ؛ لذا ذكر الباحث الطباق ضمن المستوى الايقاعي، ونجد في هذا النص ايقاعية الكلمة واضحة جدا (الولد ـ والده، صغره ـ كبره) حتى يمكن القول: إنّه إذا كانت الفاصلة في القرآن والقافية في الشعر والسَّجْعة في النثر تعمل على أنْ تكون الايقاعية في نهاية الأشطر، أو لنقل انها نغم خارجيّ فانّ الطّباق يعمل على المستوى الدّاخليّ بما يمكن التعبير عنه بالإيقاع الداخليّ، وربما يجتمع الأمران مثلما في المطابقة بين صغره وكبره، وهذا الحديث من الأحاديث المنبئة بالمستقبل، إذ عقوق الطفل وتصرفه السّيئ مع والده ينبئ عن صورة مصغرة لما سيكون عليه في المستقبل، ومن هنا يحثّ الإمام على لزوم حسن التربية للطفل في صغره، وهذا لا يكون ما لم يسبق باختيار أمّ صالحة قبل الإقدام على ارتباط غير مناسب، وقد عمِل الطباق في هذا النص على إيضاح مقصد النص بعقد علاقة بين المتضادات فكان النّصّ متناغماً من جهة ومترابطاً من جهة ثانية ومتفرساً لقابل ذلك الوليد من جهة ثالثة..

أما المُقابلة فتكون بالمقابلة بين أكثر من شيء، وهي بهذا تخالف المطابقة التي تكون بين الشيء وضده[٢]، والذهن مجبول على الرّبط بين المتضادات بسبب التّداعي الموجود بينهما، ولكون المقابلة تعمل على بناء نص بشكل هندسي جميل عند المتلقين بسبب ايقاعه النغميّ، راجت في الكلام وتسيدت كثيراً من مفاصله، قال عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ): «**قُلْت: العِلْمُ حَسَنٌ، والجَهْلُ قَبيحٌ؛ لأنّ كونَ العِلْمِ حَسَناً مَضْمُومٌ في العُقُولِ إلى كَونِ الجَهْلِ قَبيحاً**»[٣]، وهذا الذي يقوله الجرجاني أيّده العلم الحديث؛ إذ تبيّن أنّه قد «**توصّلتِ الدِّراساتُ التّشريحيّةُ والدِّراساتُ**

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣.

(٢) يُنْظَر: العبد، محمد، النَّصّ والخطاب والاتّصال، ص١٦٢ـ١٦٣، و الخفاجيّ، مجيد جابر محسن، البحث الدلاليّ عند الشَّرِيْف الرضي، ص١٢٢.

(٣) الجرجانيّ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٢٢٦.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

الفَسْلجيّةُ لدماغِ الإنسانِ إلى أنّ فيهِ مَناطقَ خاصّةً للتَّكلُّم وربطِ الكلام»[١]. واذا كان عقلُ المُنتجِ مجبولاً على هذا الرّبط، فنجدُ عقل المتلقّي مستأنساً اليه أيضاً، ومن هنا تجد العقل يستأنس إلى النّصّ إذا كان «**بين الجملةِ الأوْلى والثّانيةِ جِهةٌ جامِعةٌ، نحو (زيد... يُعْطي ويَمْنَعُ) لِمَا بينَ الإعْطاءِ والمَنْعِ مِنَ التَّضادِّ بخِلافِ: زيدٌ يَكتبُ ويَمْنَعُ، أو: يَشْعَرُ ويُعْطي**»[٢]، ومع أن المتمثل به هنا من الطباق فهو كذلك في المقابلة بسبب الاشتراك بوجود التّداعي في الفنين (الطباق، المقابلة) كونهما مبنيين على علاقات التّضاد بين أجزاء النّص.

والمقابلة قد تكون ثنائية نحو قولهعليه السلام: «**من وعظ أخاه سرا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه**»[٣]، فهنا قابل بين (سرا) و(علانية) وبين (زانه) و(شانه)...، وهذه اللوحة الإمامية نجد المقابلة قد عملت بها على تزيين إيقاعها وتقوية مضمونها، حتى أنّ المتلفظ لها يجد أنساً في تلفظها مُطابقاً لأنسه في مضمونها.

ونجد ثلاث مقابلات ثنائية في قوله المبارك: «**اتّقوا اللهَ وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرُّوا إلينا كلّ مودّةٍ وادْفعُوا عنّا كلّ قبيحٍ، فإنّهُ ما قيلَ فينا مِنْ حُسْنٍ فنحنُ أهلُهُ، وما قيلَ فينا من سُوءٍ فما نحنُ كذلكَ**»[٤]، والجدول الآتي يوضح تلك المقابلات ببيان المقابل وما يقابله:

(١) البياتيّ، سناء حميد، قواعد النحو العربيّ في ضوء نظريّة النظم، ٢٢.

(٢) التفتازاني، المُطوّل، ص٤٣٤.

(٣) الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٣.

(٤) الحراني، المصدر السابق، ص٣٦٣.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

	المقابل الأول	مقابل المقابل الأول	المقابل الثاني	مقابل المقابل الثاني
المقابلة الأولى	وكونوا	ولا تكونوا	زينا	شينا
المقابلة الثانية	جرُّوا	ادفعوا	مودة	قبيح
المقابلة الثالثة	حسن	سوء	فنحنُ اهلُه	فما نحن كذلك

وهذا النّصّ الروحيّ هو توجيه مباشر للعباد بملازمة التّقوى، وحرْصُ الإمام قاد إلى أنْ يأمر بالشيء الإيجابي الممدوح وينهى كذلك عن ضدِّه، عن الشّيء السّلبيّ المذموم الذي يعود بالسّوء على صاحبه، انّها مقابلة بين الفضائل والرذائل، وهذه المقابلات جعلت النص متسقاً بسبب هذه المتواليات المتضادّة، وفتحت الذّهن على مصراعيه على تلك المتناقضات، وعلى العبد أنْ يجعلَ نفسه مع الصّالح منها، ويعمل على تجنب كل طالح، وقد جمع النّص بين الأمر والنهي بأسلوب واضح غير معقَّد وبنسقٍ صوتيّ جميل متّشح بجوٍّ إيمانيّ بسبب تلك القيم الرُّوحيّة الموجودة فيه، نسأل الله أنْ يجعلنا ممن يسمع الحسن الجميل فيتبعه.

ومن أمثلة المقابلة الثلاثيّة عند الإمام العسكريّ عليه السلام: «**مَنْ أُعطيَ خيراً فاللهُ أعطاه. ومن وقيَ شرّاً فاللهُ وقاه**»، فهنا مقابلة بين ثلاث لثلاث، بين (أعطي) و (وقي)، وبين (خيراً) و(شرّاً)، وبين (أعطاه) و(وقاه)...، ويرى بعض الباحثين أنّ هكذا مُقابلات ثلاثيّة تدلّ على القضايا المنطقيّة المُقنعة للسّامع، إذْ يقولُ: «**تَدُلُّ الثّلاثُ وَحْداتِ (ثلاث كلمات أو ثلاث جمل) على الأمورِ المنطقيّةِ والطَّبيعيّةِ والمقبولةِ عادةً**»، بسبب أنّ هذه المقابلة الثلاثية ولّدت تكراراً بثنائيّات متضادّة عزّزت من مضمون النّصّ للمتلقّي.

الترديد، ورد العجز على الصّدر

الترديد: «وهوَ أنْ يُعلِّقَ المُتكلِّمُ لفظةً منَ الكلامِ بمَعنى، ثُمَّ يردُّها بعينِها، ويعلِّقُها بمعنًى آخرَ، كقولِهِ تعالى: ﴿حتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾»، ويلحظ هنا صيرورة لفظ الجلالة محوراً يدور عليه الكلام، مما يجعل القارئ بالنص يستشعر أنساً إيقاعيا بسبب هذا التكرار، ويقاربه في هذا أيضاً فن (رد

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

العجز على الصدر)، وهو «**كلّ كلام بينَ صدرهِ وعجزِهِ رابطةٌ لفظيّةٌ... تحصل بها الملاءمةُ والتلاحمُ بين قسمي الكلام**»، فالابتداءَ بشيءٍ والاختتامَ به يُوحي أنَّ ذلكَ الشّيءَ منْ أبرزِ مُكوّناتِ النَّصِّ، فهوَ مَوضِعُ العِنايةِ، وقد اجتمع التّرديد ورد العجز على الصّدر في قول الإمام العسكريّ عليه السلام: «**قلبُ الأحمقِ في فمِهِ، وفَمُ الحكيمِ في قلبِهِ**»، فهنا يُوجد التّرديد بين (فمه) و(فم)، ويوجد رد العجز (قلبه) على صدر الكلام (القلب)، وللتوضيح أكثر:

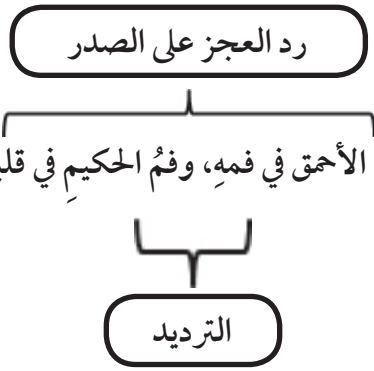

على أنّ النّصّ لا يقتصر على هذين الفنين، بل به مقابلة ثلاثة لثلاثة بين (قلب) و(فم) وبين (الاحمق) و(الحكيم) وبين (فمه) و(قلبه) ويوجد أيضاً التوازي والسجع، بل نجد به فنوناً أخرى من المستويات القادمة من مثل الكناية...، بل يمكن أنْ يقرأ بأكثر من دراسة. ومثله في الجمع بيت الترديد والعجز والصدر قوله عليه السلام: «**لا يعرف النعمة إلا الشاكر، ولا يشكر النعمة الا العارف**»[1]، وهذا يوجد فيه التوازي، وأساليب أخرى سيأتي ذكرها من مثل القصر.

المبحث الثاني

المُستوى الصّوريّ

يراد به التّصوير أو «**هو العنصر التّخييليّ، أي: إيجاد علاقة بين شيئين لا علاقة حقيقية بينهما**»[2]، وممّا يتأتّى منه في الخطاب العسكري الفنون الآتية:

التّشبيه: وهو عقد مقارنة بين طرفين، الأول منهما غامض والثاني معلوم لدى السّامع، وبه يفهم المراد من الأول، وقد قِيلَ: «**إخراجُ الأغْمضِ إلى الأظْهرِ**»[3]، ويقولُ عبد القاهر الجرجانيّ

---

(١) الديلميّ، الشيخ الحسن بن أبي الحسن (من اعلام القرن الثامن الهجريّ) اعلام الدين في صفات المؤمنين، ص٣١٣.

(٢) البستاني، محمود، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلاميّ، ص١٦٥.

(٣) الرّماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، النكت في إعجاز القرآن، ص٨١، و يُنْظَر: الزملكاني، البرهان الكاشف عَنْ إعجاز القرآن، ص١٢١، وينظر: طبانة، بدوي، البيان العربيّ، ص٢٦٢.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

(ت٤٧١هـ): «**كان الأعرفُ الأشهرُ في المُشبَّهِ بهِ أنْ يَكونَ مَعرفةً كقولِكَ: (هو كالأسَدِ، وهوَ كالشَّمْسِ)**»[١]، وذلك لأنّ المعرفة تكون معلومة، وتحقق فائدة في الكلام.

وقد قسّم التّشبيه في البلاغة تقسيمات متعدّدة، ومنها التشبيه البليغ، وعندهم هو الذي حذفت أداته[٢]، وهذا مصطلح فيه نظر؛ لأنّ البليغ هو الذي يجيء في محله سواء أكان بأداة أو من دون أداة، والقرآن الكريم استعمل التشبيه المشتمل على أداة وغير المشتمل، وكل منهما جاء بليغاً؛ لأنّه جاء في مكانه وأدّى وظيفته، ولو كان حذف الأداة يجعل التشبيه أبلغ لكان في حذف الأداة غاية محثوث عليها، توصل بنا في يوم من الأيام إلى انقراض أدوات التشبيه نهائيّاً.

ومن أمثلة التشبيه المحتوي على أداة، قوله عليه السلام: «**وطبقةٌ لم تأْخُذِ الحقَّ منْ أهلِهِ، فهمْ كراكبِ البحرِ يموجُ عندَ موجِهِ، ويسكُنُ عند سُكونِهِ**»[٣]. فهنا شبّه أولئك المُتلقين للحقّ من أناس ليسوا بأهله بمن يركب البحر، فهؤلاء يعيشون حالة من الاضطراب فتارة يموج البحر وتارة يسكن، دون أن يستقر على حال معين مع خوف وشعور بالخطر، وقد جاءت أداة التشبيه (الكاف) لتعقد تلك المقارنة وايرادها أبلغ من حذفها؛ لأنّها لو حذفت لتبيّن أنّ التّطابق تامّ بين الطّرفين، والإمام لا يريد ذلك وانّما يريد إثبات وجود حالة اضطراب متأتية من عدم الركون إلى مصدر سليم لأخذ الحقّ. ويلحظ أنّ هنا صورة حركية تكشف عن لزوم أخذ الحق من أهله الحقيقيين الّذين لا يحيدون عنه طرفة عين، وهذا الحديث يُلزِم توافر العصمة بمن يؤخذ عنه، فهو الفلاح والصلاح، إنّ الامام يقرر حقيقة للمسلمين بحسن الاختيار بأنْ لا يُسلموا رقابهم إلى أهل الزّيغ، وكأنّ في هذا الحديث تنبيهاً للنّاس على لزوم التّحرّي والتّحقّق ممّن يتبعونه، وهذا بصورة أخرى ترجمة للزوم الأخذ من أهل البيت فحسب كونهم أهلاً للحقّ، ولا أحدَ يوازيهم أو يدانيهم في ذلك، فسلام الله عليهم ولا حرمنا الله من شفاعتهم.

ومن الغريب أنّ أغلب الدراسات البلاغية ذهبت إلى أنّ حذف وجه الشّبه

---

(١) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٢٤٦

(٢) ينظر: الشيرازي، الشيخ أحمد أمين، البليغ في المعاني والبيان والبديع، ص١٩٨.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

يعمل على فتح الباب على مصراعيه لأجل التّأويل وفي هذا تقوية بلاغيّة، ولكن ليس الأمر كذلك، بل انّ عدم ذكر وجه الشبه احتاج لذلك، وإلّا فإنّ ذكره في النصوص البليغة أبلغ من حذفه، بسبب أنّ فتح التأويل على مصراعيه ليس مطلوباً دائماً، فأحياناً يؤدي إلى الغموض والإبهام، فمثلاً النّصّ: «**وطَبَقةٌ لَمْ تأخذِ الحقّ من أهْلِهِ، فهمْ كراكِبِ البَحْرِ**»، لم نعرف العلة من التشبيه براكب البحر؟ هل لأجل المغامرة؟ أم لأجل ماذا ؟

لكن حين يأتي وجه الشبه، يصبح الكلام واضحاً مؤدياً لغرضه الذي أراده الإمام عليه السلام، فوجه الشبه مهم هنا؛ لأنّه يقطع الاحتمالات التي يمكن أن يؤول الكلام اليها، والامام لا يريد إلا ما ذكر في وجه الشّبه.

ـ الاستعارة

الاستعارة: «**هي ذكر الشّيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له؛ لأجل المبالغة في التشبيه**»[١]، وقيل أيضاً: «**استعمال اللّفظ في غير ما وُضِع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة معنى ما وضع له**»[٢]. وهذان التعريفان جمعا الصُّورة القريبة لهذا الفنّ، ومن أمثلتها قوله عليه السلام: «**لولا محمدٌ صلى الله عليه وآله والأوصِياءُ مِنْ وُلْدِهِ لكنتمْ حَيارى كالبَهائِم لا تَعرفونَ فَرْضاً منَ الفرائِضِ وهل تُدْخَلُ مدينةٌ إلّا مِنْ بابِها؟**»[٣]، وهنا قصد الدخول إلى الإسلام وإلى قيمه الحنيفة، فحذف هذا الذي هو المشبه وأبقى على المشبه به (مدينة) مثلما حذف المشبه النبي والأوصياء وأبقى على المشبه به (بابها)، وهذا يعرف بالبلاغة بالاستعارة التصريحية، يريد عليه السلام أنْ يبين أنَّ المدينة هي الإسلام، والباب هو النّبيّ وآله، فمن لا يُواليهم يبقى خارجاً عن المدينة تائها لا يعرف السّعادة ولا الرّاحة ويبقى مشرداً غير مستقر على وضع آمن.

والاستعارة يمكن أنْ تكون من باب التّلاعب بالحقل الدّلاليّ لأجزاء النّصّ بعد اجراء تغيير عليه بتبديل بعض الاجزاء عن الصف التي هي فيه، فالحقل المفترض مثلا:

---

(١) الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ص١٠٢.

(٢) الشيرازي، الشيخ أحمد أمين، البليغ في المعاني والبيان والبديع، ص٢١٤، وينظر: المجلسي، تهذيب البلاغة، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٥٩.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

الفعل	الفاعل	المفعول
زرع	الفلاح	الارض

فهذا النسق مألوف وحقيقيّ لا غبار على تقبله، لكن لو تغير المفعول: (زرع الفلاح عملاً صالحاً)، فهنا استعير أمرٌ آخر، فالعمل الصالح ليس نباتاً كي يزرع، ولكن جامعة النّمو في الاثنين (النبات والعمل)، سوّغت استعارة المتكلم، فصار النبات مستعاراً منه، والعمل الصالح مستعارا له، ومن الامثلة الإمامية المقاربة لذلك قوله عليه السلام: «**من يزرع خيراً يحصدُ غبطةً، ومن يزرع شرًّا يحصد ندامةً، لكلّ زارعٍ ما زرعَ**»[١]، فالمستعارُ منه هنا هو (النّبات) والمستعار له هو (العمل)، والاستعارة هنا عرفت بالتبعيّة. وكذا مع القول (يحصد غبطة)، فالحصاد يكون للمنتوج من ثمر أو حبوب، وهذا هو المستعار منه وقد استعير للغبطة. ومثلما يوجد في هذا الشطر استعارتان توجد أيضاً استعارتان مقاربتان لما ذكر في (ومن يزرع شرّاً يحصد ندامة)، أي إن المجموع هو أربع استعارات، ونجد في الخاتمة (لكل زارع ما زرع) اجمالاً لما سبق من كلام مفصل من باب التأكيد.

فـ (جرّوا) عادة ما يكون للأمور الماديّة، أمّا مفعوله (المودة) فهي أمر معنويّ، وهذا من باب كسر النسق المألوف لأجل كسب السّامع، فالحرص كلّ الحرص من الإمام لغرض التّأثير ليكون اولئك المخاطبون ممتثلين لتعاليم القرآن والسنة الشريفة؛ فبهذا يكون العبد إنساناً ناجحاً قادراً على مواكبة الحياة ونهجاً مستقيماً لا يحيد لباطل.

ـ الكناية

الكنايةُ: لفظٌ أُطلقَ وأريدَ به لازمُ معناهُ معَ جوازِ إرادةِ ذلك المعنَى[٢]، وقد مرّ علينا في الحديث: «**قلبُ الأحمق في فمهِ، وفمُ الحكيم في قلبهِ**»[٣]، والقول إنّ (قلب الاحمق في فَمه) كناية عن أنّه لا يجاوز ما في فيه، ولا يهتم بما يصدر عنه ولا يخضع بأقواله لعقل منصف، فهو إنسان سطحيّ ساذج، يقول بلا وعي ولا فكر نابع من تدقيق وتبصر، أما القول: (**وفم الحكيم في قلبه**) كناية عن أنّه لا يقول شيئاً إلا وهو محتكم في ذلك إلى قلب متبصر، يتطابق ما يقوله مع جنان ثابت، ولهذا تجده يقول ما يقول عن حكمة وروية ولا يقع بخطأ على

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٢) ينظر: العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص٤٠٧، والتفتازاني، المطول، ص٦٣٠.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

العكس من الأحمق.

المستوى الثّالث: المُستوى الدّلاليّ

الدلالة هي علم يدرس المعنى[١]، وأبرز ما جاء منها في الخطاب العسكريّ:

١ ـ الإيجاز

يتدخّلُ المقامُ في بناءِ النَّصِّ، ففي مواقفَ سريعةٍ يقصر النّصّ في ظِلِّ المواقفِ الخاطفةِ، أما طولُهُ فمَتروكٌ لسَعةِ الأحوال[٢]. والإيجاز: «**هو الأداء بأقلّ من المتعارف أو ممّا يليق بالمقام من كلام أبسط من الكلام المذكور**»[٣].

ومن هذا الباب قوله عليه السلام: «**المُؤمنُ بركةٌ على المُؤمنِ وحجّة على الكافرِ**»[٤]، فهذا الحديث حقيقة من الأحاديث المهمة جدّاً، والأهمّ أنْ تنشر هذه الأحاديث وتأخذ صداها في المناهج الاكاديمية أو الندوات والورش التربوية ونحو ذلك، كونها تعجّ بمعان واسعة، فمثلاً حينما يأتي القول «**المُؤمنُ بركةٌ على المُؤمنِ**»، ينطوي هنا تحت لفظة (بركة) كل ما يتجسّد بالخيرات والإحسان والفعل الطّيب والتّعاون والتآلف والتوادّ والتّساند... بسبب وجود العامل النوري المشترك بين المؤمنين (الايمان)؛ فهذا يجعلهما يتفقان وينسجمان ويمنع وقوع الشحناء أو الغل أو التنافر بينهما، اما اذا رأى الكافرُ المؤمنَ وقد تسامى الاخيرُ بأخلاقه وتزيى بأفعال طيبة قويمة فانّه سيكون حجة على الكافر؛ لأنّه يعيش حياة العابثين، لا أمل له في الحياة إلّا اللهو والمرح منتظراً الموت دون التّفكير بما بعده. إنّ الكافر إذا لحظ المؤمن وهو بتلك الحيويّة والسّلاسة فسيكون بلا شكّ في ريبة من أمره، فليس له هدف كالمؤمن، وليس له معيار في التّصرف مثل المؤمن الذي يرى أنّ هناك حسابات متراكمة وراء أعمالهِ صغيرةً كانت أو كبيرةً.

وحينما نسمع القول العسكري: «**أقلُّ النّاسِ راحةً الحقودُ**»[٥]، يتجلّى أنّ الحقد سبب في إتعاب صاحبه إذ سيرهقه، ويجعله كئيباً لما يجري من حوله لا يستطيع العيش بأمان واستقرار، بل ينعى على النّاس كلّ خير يمرُّون به، والحقد سيتسبب بهدم داخليّ يصيِّره رهنَ مشاعره البغيضة

(١) يُنْظَرُ: الدايه، فايز، علم الدلالة العربي، ج٦، ص٦٩.

(٢) يُنْظَرُ: هابشايد، شتيفان، النَّصّ والخطاب، ص٢٨.

(٣) التفتازاني، مختصر المعاني، ص١٧٠.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

فتعكّرُ مزاجه وتعيق آماله وتُضعف علاقاته بالناس، وإذا كان الفرد مجبولاً على التّعامل مع النّاس، فانّه مع الحقد تذهب منه تلك الحالة، وتصبح معاقة فيه تلك الظاهرة فيكون حبيس نفسهِ الحقودة.

٢ ـ التّوكيد

التّوكيد: «**تمكين الشّيء في النّفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشُّكوك وإماطة الشّبهات عمّا أنت بصدده**»[١]، وهو من الأساليب العربيّة المهمّة؛ لأنّه يعمل على تعزيز الحجّة والتّأثير في المتلقّي، «**وإنّما يُحتاج إليه، ويَحسن استعماله في الأمور المهمّة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنّسيان فيها والاستهانة بقدرها**»[٢]. وجاء في كلام الإمام العسكريّ عليه السلام بأكثر من نمط، وعلى النّحو الآتي:

ـ التوكيد بالحرف: ويشمل:

(إنّ): وهو حرف يفيد التوكيد، ويؤكد مضمون جملة «**فلا فرق بين قولك: إنّ زيداً قائمٌ، وبينَ قولك: زيدٌ قائمٌ إلا معنى التأكيد**»[٣]، فالقيد (انّ) يأتي «**لتوكيد نسبة الجزء إلى المبتدأ، أو لنّفي الشكّ عنها، أو إنكار لها**»[٤]، والمراد بالجزء الخبر ـ لأنّه الجزء الّذي يتمّمُ مع المبتدأ جملة[٥]، وتتأكّد نسبته إلى المبتدأ بدخول (انّ) على هذه الجملة، ففي القول: (زيدٌ قائمٌ) أُسند القيام إلى زيد، لكنْ قد يَظنّ السامع خلاف ذلك لعجز من زيد، أو نحوه، فيلجأ القائل إلى التوكيد بـ(انّ) مثلاً؛ لإقناع السامع، فيقول: (إنّ زيداً قائِمٌ).

ومن ذلك قوله عليه السلام: «**إنّ اللهَ بمنِّهِ ورحمتهِ لمَّا فرضَ عليكم الفرائضَ لم يَفْرضْ ذلكَ عليكم لحاجةٍ منهُ إليكم، بل برحمةٍ منه ـ لا إلهَ إلّا هو ـ عليكم ليَميزَ الخبيثَ منَ الطّيبِ**»[٦]، فهنا عملت (إنّ) على تدعيم المضمون الخطابيّ وتوثيقه. وكذا في القول المبارك: «**إنّكم في آجالٍ منقوصةٍ وأيامٍ معدودةٍ والموت يأتي بغتة**»[٧].

---

(١) العلوي، ابن طباطبا، الطراز، ص٢٨٧.

(٢) الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ بيان إعجاز القرآن، ص٢٨.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٥٥٤.

(٤) الدمياطي، محمد بن محمد، المشكاة الفتحية، ص٩٠.

(٥) ينظر: السيوطي، البهجة المرضية، ج١، ص٨٣.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٣٥٩.

(٧) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

قَدْ: وهي «**مختصّة بالفعل المتصرف الخبريّ المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجزء منه بشيء اللهم إلا بالقسم**»(١)، ومن أمثلتها في الخطاب العسكري: «**مَنْ وعظَ أخاهُ سرّاً فقد زانَهُ، ومَنْ وعظهُ علانيةً فقد شانه**»(٢)، فهنا وردت (قد) في موضعين تقوية للكلام وتثبيتاً.

(من المؤكدة): وقد تسمّى (مِنْ) هنا بالزائدة أو المزيدة(٣)، نحو قولك: «**(ما جاءني مِنْ أحَدٍ) المعنى: (ما جاءني أحَدٌ)، وكذا (ما رأيتُ مِنْ أحَدٍ) تريد (ما رأيتُ أحَداً)**»(٤). ومما ورد في الخطاب الإماميّ على هذا الباب قوله عليه السلام: «**ما مِنْ بليّة إلّا ولله فيها نعمةٌ تُحيطُ بها**»(٥)، فهنا (مِنْ) يمكن اسقاطها ويستقيم نسق النظام، بيد أنّه يقل توثيقاً وتوكيداً، إذ عززت (مِنْ) هنا من أهمية استشعار الإنسان لليسر على الرّغم من كل عسر، فالبلايا التي تصيب الإنسان هي مكتنفة أيضاً بنعمة تُحيط بها، وقد يستبعد الإنسان ذلك، ومن هنا جاء النّصّ مؤكداً بأكثر من توكيد؛ ففضلاً عن (مِنْ) المؤكدة تأكّد أيضاً بالنّفي (ما) والاستثناء، وبالتقديم للخبر (لله) على المبتدأ (نعمة)...

التوكيد بالجملة الاسميّة

إنّ القارئ في الخطاب العسكري يجد النّمط الاسميّ نمطاً واضحاً، وهذا النّمط يفيدُ الثُّبوتَ مُقارنةً بالفِعْليّ الَّذي يُدلُّ بالتَّجدُّدِ والتَّغيُّرِ(٦)، فممّا جاء من ذلك «**قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤] فإنهم إنّما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة وشياطينهم بالجملة الاسميّة المحققة بإنّ المشدّدة؛ لأنّهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط، فكان ذلك متقبلاً منهم ورائجاً عند**

(١) الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص٢٢٧.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣.

(٣) ينظر: الاخفش الاوسط، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، ص٧٢، والأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص٤٢٥.

(٤) الجرجاني، عبدالقاهر، المقتصد، ج٢، ص٨٢٤.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣.

(٦) يُنْظَر: الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، ص١٧٣، وشُعير، مُحَمَّد رِزْق، الوظائف الدلاليّة للجملة العربيّة، ص٨٧.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

إخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين، فإنّما قالوا تكلفاً وإظهاراً للإيمان خوفاً ومداجاةً، وكانوا يعلمون أنّهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسدِّه لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطناً، ولأنّهم ليس لهم في عقائدهم باعث قويّ على النّطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة، فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين (آمنّا)، وفي خطاب إخوانهم (إنّا معكم)[1].

ومن هذا قوله عليه السلام: «**صديقُ الجاهِلِ تَعِبٌ**»[2]، فالصّداقة يجدر أنْ تكونَ مع مَن يتأهل لأنْ يكونَ مصدراً للسعادة والحياة السعيدة، وهذا لا يكون إلّا إذا كان الصّديق يتسم بسمات النّضج الفكريّ والسّلوك السّليم النّابع من المعرفة الواعية؛ إذ إنّ مثل هذا يعرف كيف يتصرّف السّلوك الحسن، ويقوم بالأعمال الواعية النّاضجة، ولا يوقع صاحبه بمغبة عناء الصحبة كونه قد هضم التّصرّف الصّحيح والتعقّل فيما يفعل، على العكس ممن غابت عنه شمس المعرفة فهذا يتخبّط بظلام دامس يتسبب في إيذاء من يرافقه ويجعله يتعب كثيراً، لا يستنير إلى سبيل صحيح بل يتيه في غياهب الأفعال الخاطئة التي تكلفه كثيراً من الخسائر، وهذا شيء ممّا يُستجلى من الحديث أعلاه (**صديقُ الجاهِلِ تَعِبٌ**) الذي كشف عن عاقبة الركون إلى رفقة الجاهل، وقد جاء بالنمط الاسمي:

صديق	الجاهل	تعب
مبتدأ	مضاف إليه	خبر

وهذا النمط يُدلي بثبوت هذه الحقيقة التي طالما خفيت عن النّاس أو لم يُولوها عناية تستحقّ، وإذا عمّمنا الصّديق إلى كل مصادقة، سواء أكانت مصادقة الرفيق أو الموجّه الفلانيّ أو الزوجة أو صاحب الرّأي الفلانيّ... أو نحو ذلك، يكون هذا الحديث عامّاً وواحداً في النّتائج. ومن هنا يكون لزوم جعل العلم السّليم مقياساً لعقد المصادقة، ويلحظ في الحديث دقة الاختيار (صديق) دون ما يحتمله هذا اللفظ من مرادفات (صاحب، مصاحب، مرافق، خليل..)؛ لأنّ هذه الألفاظ لا تحتمل ما احتملته (الصديق) من تصديق، أي إنّ الشخص يرافق صديقه ويصدقه مع ما فيه من جهل، لكن لو قال (صاحب) فلربّما صاحبه دون أنْ يصدقه على جهله، وهنا يمكنه تجنب ما يقود إلى نتائج سيئة.

(١) الجزري، ابن الاثير، المثل السائر، ج٢، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

وقد يقول بعضٌ أنّ هذا المعنى يمكن أنْ يكون فيما لو جاء بالنمط الفعليّ: (يتعب صديق الجاهل) كونه فعلاً مضارعاً، والمضارع يفيد التّجدد، والجواب: ليس الأمر كذلك، فالتّجدّد ليس كالثّبوت الذي يُدلي بحقيقة لا يمكن أنْ تمحى أو تتغير فهي قانون ثابت وقاعدة راسخة تترجم أن مصادقة الجاهل لا تجني غير التعب[١].

وأمثلة استعمال النّمط الاسميّ غالبة في الخطاب العسكريّ، ومن هذا الوهج قوله عليه السلام: «**أورعُ النّاسِ مَنْ وقفَ عندَ الشُّبهةِ، أعبدُ النّاسِ من أقامَ على الفرائضِ، أزهدُ النّاسِ من تركَ الحرامَ، أشدّ النّاسِ اجتهاداً من تركَ الذُّنوبَ**»[٢].

ـ **التوكيد بالأسلوب**: هناك أكثر من اسلوب على تقوية الكلام، ومن ابرزها:

ـ **أسلوب القصر**: ويكون بـالآتي:

(إنّما) وهذه «**تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، أو لِمَا هو متنزِّل هذه المنزلة**»[٣]، نحو قوله عليه السلام: «**ليستِ العبادةُ كثرةَ الصِّيامِ والصّلاة وإنّما العبادةُ كثرةُ التّفكّرِ في أمرِ اللهِ**»[٤]، ووظيفة (انما) هنا أنّها قوّت مضمون النّصّ، وجعلتهُ قويّاً يقرّر أنّ الأهمّ في العبادة هو التفكير في عبادة الله لا أنْ تكون لقلقة لسان أو أقوالاً بلا فهم لمضامينها.

ـ **النفي والاستثناء**: وهذا النمط «**يكون للأمر ينكره المخاطب، ويشكّ فيه، فإذا قلت (ما هو إلا مُصيبٌ)، أو(ما هو إلا مُخطئٌ) قلتَه لمن يدفع أنْ يكونَ الأمر على ما قلتُهُ، وإذا رأيتَ شخصاً من بعيدٍ فقلتَ: (ما هو إلّا زيدٌ) لم تقلْهُ إلّا وصاحبك يتوهّم أنّه ليس زيد، وأنّه إنسان آخر، ويجدّ في الإنكار أن يكون زيداً**»[٥]، من مثل قوله عليه السلام: «**لا يَعرِفُ النّعمةَ إلّا الشّاكرُ، ولا يَشْكرُ النّعمةَ الّا العارفُ**»[٦]، وهنا كان بالإمكان الاستغناء عن النفي والاستثناء، ولكن

(١) وقضية أخرى في هذا الحديث إيثار الصيغة الصرفيّة (تعب) وهي من صيغ المبالغة، التي توضح كثرة التعب المبالغ فيه على العكس مما لو قيل: (تاعب، متعوب، تعبان) فهذه الصيغ تدلّ على حدث التعب بوضوح ولكنها ليست كالـ (تَعِب) المُوحي بعظمة ذلك التعب.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٣) الزملكاني، التبيان في علم البيان، ص٦٥.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

(٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٢٥٦، وينظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٦) الديلمي، اعلام الدين في صفات المؤمنين، ص٣١٣.

مجلة تراث إسلامية
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

أ.م.د. عباس إسماعيل الغراوي

سيكون الكلام أقلَّ توكيداً، ولا يتناسب هذا مع الشّغف الإماميّ في تعليم النّاس لزوم شكر النّعمة، فالشّاكر هو الوحيد العارف لقيمة النّعمة ومن هنا قام بالشُّكر، فشكراً لله على نعمهِ كلّها.

ـ الاجمال والتّفصيل: وهذا الأسلوب يعدُّ من العلاقاتِ الّتي تُسْهِمُ في تحْقيقِ آنْسِجامِ النّصِّ[١]، وتعمل على تقوية النص وتوثيقه، وهِي أنْ يرِد مقْطعٌ نصِّيٌّ مُجْملُ الدّلالةِ مُرْدفاً بما يُفصِّلُ ذلك الإجْمال أو على العكْس ، نحو قوله عليه السلام: «**خُصْلتانِ ليسَ فوقَهُما شيءٌ: الإيمانُ باللهِ، ونفعُ الإخوانِ**»[٢]، فهنا حينَ قال (خصلتانِ ليس فوقَهما شيء) جاء بكلام مُبهم مُجمل يحتاج إلى ما يُوضِّحه، والسّامع عند سماع هكذا كلام يتشوّقُ لمعرفة ما هما تلكما الخصلتان؟ فيأتي التفصيل لذلك (الإيمان بالله، ونفع الاخوان)، وهذا الإخراج للنّصّ بهذه الصّورة يوثّق الكلام ويقويه، ويجعله أكثر تأكيداً مما لو خرج بصورة اعتيادية، ومن هنا نجد أنّ هذا الاسلوب يكثر في الكلام النّبويّ والعترة الطّاهرة.

ومن امثلة هذا الأسلوب قوله عليه السلام: «**بئسَ العبدُ عبدٌ يكونُ ذا وَجْهينِ وذا لِسانينِ**»[٣]، وهذا الكلام حتى الآن فيه إبهام، يعمل على إشراك المتلقي كيف يكون العبد بلسانين وبوجهين مع أنّ للعبد لساناً واحداً ووجهاً واحداً ؟! فلما يسمع تتمة الحديث «**يُطْريْ أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إنْ أُعْطيَ حَسَدَهُ، وإنْ أُبْتلِيَ خَذَلَهُ**» يجد هنا تفصيلاً لما سَبَقَ، وهذا التفصيل عَمِل على تفسير بداية النّصّ، فيتلقى المتلقي النصّ بصورة أكثر تأثيراً، ولكن ربّما يستشعر السّامع أنّ الذمّ لذلك العبد هو ذمٌّ شديدٌ، فما الذي جعل الإمام يجعله مختصّاً بالذم (بئسَ)، والاسم الواقع بعد هذه الاداة يعرف بالمخصوص بالذم، فما الذي جعل الامام عليه السلام يرميه بهذا الوصف ؟

يبين الإمام عليه السلام أنّ لبعض الناس بسبب تقلبه في الحكم لأخيه فأمامه شيء وخلفه شيء آخر أنّ له لسانين، بحسب المقام فعند حضور المعنيّ يكون مدّاحاً مُطرياً يُنزِل على صاحبه ألفاظ الثّناء والتّبجيل، وإذا ما غابَ عنه ذلك الممدوح تحوّل إلى حقيقته المخفية الحيوانيّة؛ إذ يقومُ بأكل صاحبه والتّعبير عن الغيبة بأنّها (أكل) بسبب العاقبة الوخيمة المترتبة

(١) يُنْظَر: عبد البديعِ، أشْرف، الدَّرس النحويّ النَّصِّيّ، ص١١٣.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

على هذه الرذيلة فهي أكل للحم الأخ؛ إذ من المعلوم أنّ اقتطاع اللحم يسبب أثراً بعدم التّعويض عن الجزء المفقود مما يسبّب تشوها، وكذلك الغيبة فهي مرض اجتماعيّ خطير تؤدّي إلى أن تسبب حرجاً شديداً للشخص المُستغاب بتشوه سمعته وانتقاص قدره في المجتمع.

وهذا العبد ذو اللسانين، بسبب الغل الموجود فيه اتجاه أخيه، لا يقف عند هذا الحدّ، بل تجده ينظر لأخيه نظر الريبة، فـ(**إنْ أُعْطيَ حَسَدَهُ، وإنْ أُبْتليَ خَذَلَهُ**)، والحسد لا يقل سوءاً عن رذيلة الغيبة لما فيه من تمنٍّ لزوال نعمة الآخر، وهذا التّمني يولد نفساً خبيثاً عند الحاسد يتسبب بإيذاء المحسود، ومن هنا كان المحسود متعرضاً للمخاطر، ثم انّ هذا العبد الحاسد المغتاب تجده خاذلاً لأخيه إذا ما رآه واقعاً في محنة الابتلاء.

إنّ هذا الذمّ في نصّ الإمام العسكريّ عليه السلام للعبد المتربص سوءاً بأخيه هو ذمٌّ مبالغ فيه، وقد وصل إلى اعلى درجات التحقير والتيئيس، وهو يهدف إلى بناء مجتمع خالٍ من الأمراض الاجتماعيّة، ويعزّز من العمل على نشر الفضائل وبناء مجتمع متراصّ متماسك متآلف. فبعد رسم الصّورة البشعة لذلك العبد البائس السيئ، نجد الأمر لا يخرج عن حالتين:

الأولى: أنّ الوصف الإماميّ قد بيّنَ لزوم تجنُّب هكذا عبد وعدم الاستئناس له، ومن هنا يقع ذلك العبد بواقع الانعزال، وهذا ربّما يجعله ينتبه إلى نفسه، ويحاول إصلاحها.

الثانية: أنّ العبد إذا رأى إمامَهُ وهو يصف العبد بهذه الصورة المزرية فإنّه سيعمد على تجنب تلك الصفات السيئة مما يتسبب بإنتاج عبد صالح، ناشر للفضائل والحسنى في سلوكياته وتصرفاته.

ومن هنا ندرك أنّ هذا التّفصيل بعد ذلك الاجمال أبان الكلام بصورة أكثر توثيقاً وتثبيتاً للمعلومة في ذهن السّامع، إلى درجة يصبح وكأنّه يرى النّتيجة السّيئة لذلك العبد المخصوص بالذم الإمامي بسبب الفعل الشّنيع الصّادر منه.

ـ التقديم والتأخير

في العربية نجد أنّ رتب الكلام محفوظة، فالمبتدأ يسبق الخبر، والفعل يسبق الفاعل، والفاعل يسبق المفعول...، ولكن هذه الرُّتب قد تتغير؛ فيؤخَّر ما حقه التقديم لأجل أغراض بلاغيّة، ونجد في كلام الإمام العسكري نمطاً

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

بارزاً، وهو تقديم الخبر على المبتدأ نحو قوله عليه السلام: «**مِنَ التواضعِ السّلامُ على كلِّ منْ تمرُّ بهِ، والجُلوسُ دونَ شَرَفِ المَجْلسِ**»(١)، فهنا تقدّمَ الخبر الذي هو شبه جملة (من التّواضع) على المبتدأ (السلام على كل..) وكان بالإمكان تأخير الخبر كأن يقال: (السلام على كل من تمرّ به من التواضع) ولكن في الحالة الأخيرة يحتمل أنْ يكون هذا من التّواضع، أو يكون من شيء آخر كأنْ يكون من الاستذلال أو الخضوع والخنوع أو أي شيء محتمل، لكن حين تقدَّم الخبر، انحصر المبتدأ به وصار من التواضع لا غير، وهذا فائدة من فوائد التقديم التي تعمل على توكيد الكلام وقصره على دلالة موثقة قطعية لا تحتمل التأويل.

والأمر مثله في قوله عليه السلام: «**منَ الجَهْلِ الضَّحكُ من غيرِ عُجْبٍ**»(٢)، وكذا قوله عليه السلام: «**منَ الفَواقرِ التي تقصمُ الظَّهرَ جارٌ إنْ رأى حسنة أطفأها وإنْ رأى سيئةً أفشاها**»(٣)، ويلحظ أنّ في هذه النّمطية بتقديم الخبر على المبتدأ إنّما جاء لتوكيد اقتصار الخبر المقدم على المبتدأ من باب التّوكيد.

ومثله الأمر فيما لو كان المبتدأ اسماً لأحد النّواسخ، إذ جاء اسماً لـ(ليس) مؤخرا في قوله عليه السلام: «**ليسَ مِنَ الأدبِ إظهارُ الفَرَحِ عند المَحزونِ**»(٤)، وهنا تقدّم الخبر (من الأدب) على اسم ليس (إظهارُ الفَرَح)، وهذا التقديم قصَرَ هذا الوصف (إظهار الفرح) على أنّها لا تكون من الأدب أبداً. ولو قيل: (ليس اظهار الفرح من الادب...) لما كان فيه ذلك التوكيد على ذمّ إظهار الفرح عند المحزون.

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

مجلة تراث السامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة بالتأمل في كلام الإمام العسكريّ عليه السلام واستجلاء ما به من بلاغة تتناغم مع التعاليم الحقّة والقيم النبيلة وصل بنا الامر لبيان مجموعة من النتائج:

١ـ كشف البحث عن أن بلاغة الإمام العسكري عليه السلام بلغت القمة العظمى في التأسيس للمُثل الإنسانية السليمة تهدف إلى بسط القيم الروحية وتعزيز المبادئ الحقة.

٢ـ المتأمل في الفنون بلاغة الإمام العسكري عليه السلام الواردة يجدها قد خرجت بصورة طبيعية بلا تكلّف ولا تعقيد.

٣ـ كشف البحث عن أن التعريف الوارد عن أمير المؤمنين للبلاغة هو الذي يتناغم مع متطلبات المجتمع بصورة أكثر فاعلية ويوطد الاتجاهات المنيرة؛ لتغدو البلاغة الروحية طريقا لتأسيس مجتمع ناجح وصالح وقادر على الإنجاح والإصلاح.

٤ـ كشف البحث عن لزوم تعليم النشء الجديد على الأدبيات المكتظة بالخطابات المُلتزمة كونها سبباً راسخاً في بناء جيل واع متزن يتحلى بحسن السلوك والصفات الطيبة.

٥ـ أعرب البحث عن أنّه يمكن أنْ يجتمع أكثر من فنٍّ في القول الواحد للإمام عليه السلام حتى أن حديثاً قصيراً يلقانا عبارة عن حشد فنّيّ من الفنون البلاغيّة، وما ذلك إلا لأنّ أهل البيت هم أمراء الكلام على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ أوضح البحث افتقاد الدّراسات المعاصرة والقديمة عن قضايا مهمّة على النحو من إطلاق بعض المصطلحات البلاغيّة من مثل التّشبيه البليغ أو القول بفائدة حذف وجه الشبه والبحث قد بيَّنَ الإشكال في هكذا آراء، وأنّ البلاغة تكمن في أداء الفن البلاغي لوظيفته بصورة مناسبة ومن هنا فوجود أداة التشبيه قد يكون أبلغ من حذفها في المواضع التي لا تحتاج إلى التطابق بين طرفي التشبيه.

مجلة تراث أسامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) ابن جعفر، قدامة (ت ٣٣٧هـ)، نقد الشِّعْر، تحقيق كمال مُصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٣) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ)، شرح المفصل، تحقيق أحمد السيد وإسماعيل عبد الجواد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).

٤) الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ)، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ن ط١، ١٤٢٣ هـ.

٥) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٦) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البَلاغة، تحقيق صبحي الصالح، مركز البُحوث الإسلاميَّة، قم، ١٣٩٥ هـ.

٧) الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام (ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق، طهران، ط١، ١٣٧٦هـ.

٨) بدوي، محمد، بلاغة الكذب (نصوص على نصوص)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩.

٩) البُستانيّ، محمود، البلاغةُ الحديثةُ في ضَوءِ المَنْهجِ الإسلاميّ، دار الفِقْه لِلطِّبَاعَةِ والنَّشْر، مطبعة سُليمان زاده، قُم، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٠) البياتيّ، سناء حميد، قواعد النَّحو العَرَبِيّ في ضوءِ نظريّة النَّظْم، دار وائل لِلنَّشْرِ، عمّان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

١١) التفتازاني، العلّامة سعد الدِّيْن مسعود بن عمر (ت ٧٩٢ هـ)، مختصر المعاني، دار الفكر، قم، ط١، ١٤١١ هـ.

١٢) التفتازانيّ، مسعود بن عمر بن عبدالله (ت ٧٩٢ هـ)، المطوّل (شرح تلخيص مفتاح العُلُوم)، تحقيق عبد

الحميد هنداوي، دار الكُتُب العِلْمِيَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.

١٣) الجُرجانيِّ، عبد القاهر (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، دلائلُ الإعْجاز، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، شركة القدس، مطبعة المَدنيّ، مِصْر، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤) الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.

١٥) الجزري، نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، المَثَلُ السّائر في أدبِ الكاتبِ والشّاعر، تحقيق أحمد الحوفيّ، وبدويّ طبانة، دار نهضة مِصْر لِلطِّبَاعَةِ والنَّشْر، الفجالة، القاهرة، (د. ت).

١٦) الحرّانيّ، أبو مُحَمَّد بن الحسن بن علي (من أعلام القرن الرّابع)، تُحَف العُقُول عن آلِ الرَّسول، المكتبة الحيدريّة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٧) الحمويّ، تقي الدين أبو بكر عليّ المعروف بابن حجة (ت ٨٣٧ هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث، بيروت، (د. ت).

١٨) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.

١٩) الخفاجيّ، مجيد جابر محسن، البحث الدّلاليّ عند الشَّرِيْف الرَّضِيّ، رسالة ماجستير، كلية التربيّة، الجامعة المستنصريّة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٠) الدّايه، فايز، علم الدَّلالة العَرَبِيّ ـ النَّظريّة والتَّطبيق، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.

٢١) الدمياطي، محمد بن محمد (ت ١١٤٠ هـ)، المشكاة الفتحية على الشمعة المضيئة في علم العربية، تحقيق يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤.

٢٢) الديلميّ، الشيخ الحسن بن أبي الحسن (من اعلام القرن الثامن الهجريّ)، اعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٣، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٢٣) الرّماني (ت ٣٨٦هـ)، والخَطّابي (ت ٣٨٨هـ)، والجرجاني (ت٤٧١هـ ـ ٤٧٤هـ)، ثلاثُ رَسائلَ في إعجازِ القرآن،

تحقيق مُحَمَّد خلف الله، ومُحَمَّد زغلول سلام، دار المَعارف، مِصْر، (د. ت).

٢٤) زتسيسلاف، واورزنياك، مدخل إلى عِلْمِ النّصّ مُشكلات بِناء النّصّ، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مؤسَّسة المُختار ـ القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٥) الزمخشريّ جار الله محمود بن عُمَرَ (ت ٥٢٨هـ)، أساس البلاغة، دارُ الفِكْرِ، بيروت، لُبْنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٦) الزّملكانيّ، كمال الدِّيْن عبد الواحد بن عبد الكريم (ت ٦٥١هـ)، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: خديجة الحديثيّ، وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤م.

٢٧) الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم (ت٦٥١هـ)، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٤م.

٢٨) السبحانيّ، العلّامة جعفر بن محمد حسين، تهذيب البلاغة، دار جواد الأئمة، بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.

٢٩) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.

٣٠) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، البهجة المرضية على ألفية ابن مالك، تحقيق مصطفى الحسيني الدشتي، قم، ط١٣، ١٤٢٤هـ.

٣١) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤ م.

٣٢) شُعير، مُحَمَّد رِزْق، الوَظائف الدَّلاليّة للجُملةِ العَرَبيّة (دراسة لعَلاقاتِ العمَلِ النّحويّ بينَ النَّظريّة والتّطبيق)، مكتبة الآداب، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٣٣) الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله (ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٣٤) الشيرازي، الشيخ أحمد أمين، البليغ في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٣٥) الضالع، مُحَمَّد صالح، الأسلوبيّة الصوتيّة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٢ م.

٣٦) طَبانة، بدويّ، البيانُ العَرَبِيّ ـ دراسة تاريخيّة فنّيّة في أُصُول البَلاغة العَرَبِيّة، مَطبعة الرِّسالة، مَكْتبة الانجلو المِصْريّة، ط٢، ١٩٥٨م.

٣٧) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٥م.

٣٨) عبد البديع، أشْرف، الدّرسُ النّحويّ النَّصّيّ في كُتُبِ إعْجازِ القُرآن الكريم، مَكتبةُ الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٩) العبد، مُحَمَّد، النّصّ والخِطاب والاتِّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتابِ الجامِعيّ، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م.

٤٠) العَسْكريّ، أبوهلال (ت٣٩٥هـ)، كتاب الصِّناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق مفيد قميحة، دار الكُتُب العِلْمِيَّة، بيروت، ط٢، ١٤٠٩ه، ١٩٨٩م.

٤١) العلويّ، يحيى بن حمزة (ت٧٤٥هـ)، الطِّراز المُتضمِّن لأسرار البَلاغة وعُلُوم حقائقِ الإعْجاز، تحقيق مُحَمَّد عبد السّلام شاهين، دار الكُتُب العِلْمِيَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

٤٢) عنّوز، صباح عبّاس جودي، أثرُ البواعثِ في تكوينِ الدّلالة البيانيّة (شعر جميل بثينة نموذجاً)، دارُ الضِّياءِ لِلطِّبَاعَةِ والتّصْميم، العِراق، النّجفُ الأشْرفُ، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٤٣) الفرج، حسام أحمد، نظريّة علم النّصّ (رُؤية منهجيّة في بناءِ النّصّ النثريّ)، مكتبة الأنجلو المِصْريّة، ط ١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٤٤) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربيّة، ترجمة صالح القرماديّ، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

٤٥) المَجْلسيّ، الشّيخ مُحَمَّد باقر (ت ١١١٠ هـ)، بحارُ الأنْوارِ الجامعةِ لدُررِ أخْبار الأئمَّةِ الأطْهار، دار إحياء التُّراث العَرَبِيّ، بيروت، لُبْنان، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٦) هابشايد، شتيفان، النّصّ والخِطاب، ترجمة موفق مُحَمَّد جواد المصلح، دار المأمون للتّرجمة والنَّشْر، بغداد، ٢٠٠٣م.

٤٧) ياكوبسن، رومان، قضايا الشعريّة، ترجمة مُحَمَّد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٨م.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م